جلايلية صبيحة

أثر اللغويين في تطور النقد العربي القديم

مناذج من النقد اللغوي التطبيقي يف النقد الرتاثي العربي ّغوي لدى العرب القدامى ً بداية ّ جيب التنويه إبل أن ّ النقد الل ّ كان معظمه مرتكزا على الت ّ صحيح والت ّ قويم ألخطاء الشعراء ّ ّ غة، مرتكزين يف ذلك على منو هذا العلم ّقة بعلوم الل املتعل ّ اجلديد؛ والذي كثرت مسائله وتنو ّ عت فيه وجوه الرأي ووجد فيه مذهبان؛ مذهب أهل البصرة، ومذهب أهل الكوفة. وكانت فيه طبقات متعاقبة من رجال املذهبني، فمن متقدمي حناة البصرة)عنبسة الفيل، وعبد اهلل بن أبي إسحاق احلضرمي، ّ وعيسى بن عمر الثقفي، واخلليل بن أمحد الفراهيدي، ّ وسيبويه، ومحاد بن سلمة، والنضر بن مشيل(، ومن متقدمي ّ حناة الكوفة)الرؤامي أستاذهم يف النحو، ومعاذ اهلراء، والكسائي، والفراء .)ّ وكان هؤالء الن ّ حاة يتتبعون كالم العرب ليسنبطوا منه قواعد ّ الن ّ حو، أو وجوه االشتقاق أو االعاريض ال ّ يت جاء الشعر عليها، ّ وهذا االستنباط جيرهم بالض ّ رورة إبل نقد الشعر؛ ال من حيث يّ ّ عذوبته أو رقته أو مجاله الفن، بل من حيث خمالفته لألصول اليت هداهم استقراؤهم إليها يف إعراب أو وزن أو قافية، فأظهروا ّ بعض ما وقع فيه شعراء اجلاهلية من خطأ يف الصياغة، وما (8(.وقع فيه االسالميون من ذلك ّ وأمثلة ذلك كثري حتويه دف ّ ات معظم كتب النقد التر ّ ّ اثية، ّ ولعل ّ أهم ّ ما وصلنا يف هذا اجمللال كتاب املوشح للمزرباني، ّخص ّ ص فصال مطو ّ ال ملآخذ العلماء على الشعراء ومن ذلك هذا ّ النموذج: » قال ابن أبي إسحاق يف بيت الفرزدق :ُ َجَّر ُف ً أَو م ُ َسحتا ً َد ِ ع م َن ِ املال إِال م َ روان لَم ي َوَع ُّض َ ز ٍ مان يا اِ َ بن م وقال أبو عمرو بن العالء؛ ال أعرف له وجها، وكان يونس ال يعرف له وجها، قلت له لعل الفرزدق قاهلا على النصب ومل يأبه، ّ قال: ال، كان ينشدها على الر ّ فع. وأنشدنيها رؤبة بن العجاج ّ على الرفع، وتقول العرب، سحته وأسحته نقرؤها مجيعا يف 9(،(فهو من أسحت ٍ » ِ َعَذاب َ القرآن الكريم، فمن قال :»فُي ْس ِحَتُكْم ب وهو مسحت، وهي اليت قال الفرزدق، ومن قال فيستحكم من سحت وهو مسحوت...قال الفراء :مسحتا متأصال من قول اهلل عز وجل : فيسحتكم بعذاب ، أي يستأصلكم، إال أنه يف القرآن (10(.الكريم من سحت وجاء به الفرزدق من أسحت »نالحظ أنه عرض املفردة من حيث اشتقاقها ودالتها على علم ّ الصرف وعلى كتاب اهلل الذي ال يأتيه الباطل؛ وخط ّ أ الشاعر .ومن أمثلة ذلك أيضا أن عبد اهلل بن إسحاق احلضرمي أنكر على الفرزدق قوله : َ ِ نثور َ ِ ديف ُ الق ِطن م ُنا ب ِحاص ٍ ب َ كن َقبِ َ لين َ ش َمال َ الش ِأم تَ ِضرب ُست م ُ َ لقى وأَ ُرحِل َ نا ع َ لى ز ِواح َ ف نُ ّ زجيها مخهارير َ ع َ لى عمائِ ِمنا ي فقال له ابن أبي إسحاق: أسأت؛ إمنا هو)ريرا(، وكذلك قياس النحو يف هذا املوضع. قال يونس: والذي قال جائز حسن. فلما ّ أحلوا على الفرزدق قال: على زواحف نزجيها حماسري، قال ّ الفضل: قال التوزي: يقال: رير ورار، وهو املخ الرقيق، وكيح اجلبل، وكاح اجلبل؛ أسفله، وقيد رمح وقاد رمح. قال: ثم ّ ترك الناس هذا ورجعوا إبل القول ألول. وكان يكثر الرد على الفرزدق، فتوعده الفرزدق بأن يهجوه فقال فيه (10(. :َ َواِليا َ ْولَى م ْ َد اهللِ م َ ْولَ َى ه َجْوتُه ولَ ِكَّن عب ْ ُد اهللِ م َ فَل ْ و َ ك َ ان عب ّ ومل يبال احلضرمي من هذا اهلجاء وخطأه ثانية. وشائع كثريا يف كتب النقد أن أبا عمرو بن العالء كان شديد التسليم للعرب، وكان ابن أبي إسحاق وعيسى بن عمر يطعنان عليه، وكان عيسى يقول: أساء النابغة يف قوله :ُ ِ قش في أَنيابِ ُ ها السُّم ِ ناقُع َ تني ض َ ئيلَّة ِ م َن الر َنّ َ ي ساور َفبِ ُّت َ كأ 12(،ّ)ملا تأم ّ لوا قوله وجدوا أن هناك خلال ويقول موضعه ناقعا يف املعنى؛ ألنها بالنصب يتبني ّ حال السم ّ بأنه ناقع، وال يستقيم ّ املعنى بالرفع. فرغم أن شعر النابغة -باعتباره شاعرا جاهليا -ّ يعترب مصدرا من مصادر

اللغة إال ّ أن ّ هؤالء الن ّ قاد نقُبوا جبهدهم العلمي على سقطاته وسقطات غريه من الشعراء اجلاهليني . ومن علوم اللغة االخرى اليت تكلم فيها النقاد اللغويون االوزان والقوايف، فأبو عمرو بن العالء يعرف االقواء بأنه اختالف االعراب يف القوايف، يقول ابن رشيق القريواني: »وكل وصل ساكن ما خال اهلاء، فإنها تكون ساكنة ومتحركة... وإذا كان ما قبل الواو والياء واهلاء ساكناً أو كانت مضاعفة مل تكن إال حروف روي ال غري؛ ألن الوصل ال يكون ما قبلها ساكناً، ولعله أن املقيد ال وصل له فأما االلف فال يكون ما قبلها ساكناً ألنها أخف من ذلك؛ وإذا انفتح ما قبل الواو والياء الساكنتني مل يكونا إال رويا عند سيبويه، وإذا انكسر ما قبلهما أو انضم كنت فيهما باخليار، وكذلك االلف إذا كانت أصيلة أنت فيها باخليار. وأما الياء املشددة املكسور ما قبلها مع الياء املشددة املفتوح ما قبلها فرأي القاضي أبي الفضل جعفر بن حممد فيهما أن يكون املكسور ما قبلها ردفاً ويكون املفتوح ما قبلها إما ردفاً ملا بقي فيها من املد وإما غري ردف الذهاب أكثر املد منها؛ فتكون على املذهب االول مثل)قضينا(مع رضينا وهذا سناد، وعلى املذهب الثاني مثل إرداف بيت وترك إرداف االخر، كقول حسان بن ثابت وال توصه يف بيت، ثم قال يف االخر: وال االكادميية للدراسات االجتماعية واالنسانية ب/قسم االداب واللغات العدد 19 - جانفي 2018 . ص 94 - 104 97 املدخل اللغوي يف النقد العربي التطبيقي (13(.تعصه وهذا أيضاً سناد »ويذهب املستشرق االملاني)كارل بروكلمان(إىل أن أبا عمرو بن العالء كان »جيمع – طوال حياته- أشعار العرب القدماء والسيما أشعار اجلاهليني، كما كان يدأب على شرحها وإجراء (14(؛ كونها أهم مصدر لالستشهاد املالحظات اللغوية عليها »على القاعدة النحوية أو اللغوية عموما بعد القرآن الكريم .كما جند أبا عمر بن العالء يف موضع آخر خيطئ الشاعر االموي ذي الرمة»يف قوله : َلداً ُ قفرا ُ ناخَةَ ع َ لى الخ ِسف أَو نَرمي بِها ب َح َ راجيج ما تَ َنف ُّك إِالّ م حراجيج ما تنفك إال مناخة على الخسف أو نرمي بها بلدا فقرا ِ ال بعد قُو َ له: م َ ا تنفك، ق َ ال َ الصولي: و َ حدثنا محُ َمحُ َّمد ْ د َخاله إ ِ في إ ِ َ يد املهليب عن ِ َ يد ق َ ال: ح َ دثنا يز لأْ َ ص َم وأمحد بن يز بن سعيد ا َ ْبي ِت لذي الرمة: حراجيج ْ َ نه ك َ ان َ ينشد هَذا ال لمْ ِوصِلي أ ْس َحاق ا ِ إ َما تنفك آال مناخة َ(ف َ لم تهبط على سفوان حتَّى طرحن سخالهن وصرن آال)ّن َ ّ نت الصفة أل َوع َ لى هَذ َ ا يكون آل: خرب تنفك ومناخة: صفته وأ ْ ِد يد غلط من ِ ّ التش ِال ب َ ّ الش ْخ مِص مَّ َ ا يؤنث ويذكر. فرواية: إ ْد َ ْبي ِت عن ْ َ ال َ َن ذ َ ا الرمة ملا قَرأ َ ْيه أ ائ َ ل. و َ يرد عل ْ َق ِ ِي الأ من ال َ ّ الراو ْ َعلاَ ِ ء غلطه ف ِيه بِم َ َ ا ذكره النحويون. وَق َ ال ْ اب ُن ع ْصُفور ْابن ال ِالأَّ َ ْيه َ قُو َ له ما تنفك إ ِ َن ذ َ ا الرمة ملا عيب عل فِي كتاب الضرائر: إ . (15(َي: شخصا »نمَّ َنمَّا قلت: آال مناخة أ ِ َ مناخة فطن لُه َ فَق َ ال: إ ومما ورد يف املوشح :» أخربني حممد بن عباس، قال: حدثنا أبو العباس حممد بن يزيد، قال: حدثنا حممد بن هشام الدري، قال: لقيت أبا نواس مبدينة السالم، فقلت له: فررت من بلدنا، ورغبت عن مصرنا؛ واهلل ما فعلت ذلك إال لتخفى سرقتك للشعر! فقال لي: امسع ما أنشدك، فإن وقفت على ّ حرف مأخوذ، وزعمت أنك مسعته ألحد أو علمت أن أحدا يقول مثله فدمى لك رهن به؛ وأنت فتى الدنيا وراوية البصرة! قال :وأنشدني شعره :َ ُمين َو ِ ذي حِل ٍف ب ِ الراح ُ ق ُ لت لَ ُه َ اصطب ِ َ ح ﷺفَل َ يس َ على أ ِ مثال ت ِ َ لك ي َ ُ نون َ ﷺفقد أَت َ ِ ت س ٌ نون لَها ف َ ي دنٍّ َ ها وِس ُ نون َ ّتها الم ُش ً موال ت َ َخط َ َّن ُ سطوراً َف َوقها ف ِارِسيَّ ًة ت َ ُكاد َ وإِ َ ن طال َ الز ُ مان ت َ ُ بين َ كأ قال: فقلت له: أحسنت واهلل وأجدت، وأنت واهلل أشعر أهل ّ مصرك. قال: إي واهلل وأشعر اجلن واإلنس! قلت: نعم! لوال أنك حلنت، فأجريت نون اجلمع وهى منصوبة، وهذا ال حيسن ّ مبثلك من أهل العلم. فقال: إن القوايف حتتمل هذا، ومثله كثري، أما مسعت قول سحيم بن وثيل الرياحي :َ ِعين ب ْ اوْز َت حَّد االر َ ِم ْ ع أش ِد َ ي ... وَق ْد َ ج َ ُجت ْ ِسين م ُ أخ ُ و خم قال أمحد بن عبيد اهلل بن عمار: قال يوسف بن املغرية اليشكري ّ ألبى نواس: أنت منقطع القرين يف البيت، وليس لشعرك

اتساق، وأنت كثري اإلحالة. فقال له: يف أي شيء؟ فقال له: يف قولك متدح الوزير، وإمنا ميدح الوزير مبثل ما ميدح به القاضي :َ مشوق َ قيقِ الل ِحاء م َوردُف َ ها ك َ الك ِ ثيب َ نيط إِ َ لى خ ِصر ر (16(.ُ َ ها عمداً َ وما ب ِ َ الط ِريق ِ م ِ ن ضيق »أَمشي إِ َ لى جنبِها أُ ِزاحم ومن القضايا اليت كانت مدار اهتمام النقاد اللغويني البنية الصرفية للكلمات، واليت مل تؤثر عن العرب، فقد اقتفوا أخطاء الشعراء يف هذا املضمار، وذلك عند استعماهلم صيغا غري متعارف عليها، أو كسرهم للقاعدة الصرفية، أو الصياغة األلصلية »قال الفرزدق يف يزيد بن املهلب :َ ُه ُ م خ ُضَع ِ الر ِ قاب نَ ِواك َ س َ األ ِ بصار أَيت َ َ َزيد ر أَوا ي َ َ ِوإ ِ ذا الر ُجال ر قال: وفى هذا البيت شيء يستطرفه النحويون، وهو أنهم ال جيمعون ما كان على فاعل نعتا)فواعل(؛ لئال يلتبس باملؤنث؛ ال يقولون ضارب وضوارب، وقاتل وقواتل؛ ألنهم يقولون يف مجع ضاربة ضوارب وقاتلة قواتل، ومل يأت ذا إال فى حرفني؛ أحدهما قوهلم يف مجع فارس فوارس؛ ألن هذا مما ال يستعمل يف النساء؛ فأمنوا االلتباس. ويقول يف املثل:)هو هالك فى ّ اهلوالك(؛ فأجروه على أصله لكثرة االستعمال، ألنه مثل، فلما احتاج الفرزدق لضرورة الشعر أجراه على أصله، فقال: نواكس (17(.أألبصار، وال يكون مثل هذا أبدا إال فى ضرورة »والنماذج اليت قدمناها تكاد توجد يف معظم كتب الرتاث اليت اهتمت بهذا اجلانب، وما قدمناه غيض من فيض. واملالحظ -أيضا- على هذه اجلهود أنها ال تعدو أن تكون تصويبات قد ال ترقى- يف أحايني كثرية- إىل النقد أألدبي الذي وظيفته يف أألساس متشعبة وشاملة؛ إذ يعتربه حممد مندور» فن متييز أألساليب أو فن دراسة النصوص والتمييز بني أألساليب املختلفة، أو كما يراه حممد غنيمي هالل مثرة التفكري يف آلثار أألدبية لتقوميها ببيان زيفها من صحيحها، وتفسري (. 18(فالنقد أألدبي»هو تقدير نواحيها الفنية ثم احلكم عليها »النص أألدبي تقديرا صحيحا، وبيان قيمته ودرجته أألدبية ...يبدأ النقد وظيفته بعد الفراغ من إنشاء أألدب، فالنقد يفرض أن أألدب قد وجد فعال، ثم يتقدم لفهمه وتفسريه وحتليله وتقديره واحلكم عليه بهذه املللكة املهذبة أو املللهمة اليت تكون (19(. ملالحظاتها قيمة ممتازة وآثارا حمرتمة »وخالصة ما جاء يف النقد اللغوي التطبيقي يف الرتاث العربي أنه قد غلب عليه اإلحصاء وشاعت فيه ضوابط التقصي (. 20(كما أخضع النقاد القدماء النص الذي ينقدونه واحلصر لسلطة النموذج والذي يتمثل يف أشعار املتقدمني، واعتربوا كل ما خرج عنه مرفوضا بسبب خمالفته التقليد الشعري املتعارف عليه. وال جيب أن نغفل يف هذا املقام أن الناقد اللغوي قدميا قد أوىل اهتماما كليا باملتلقي مما جعله ال يعري اهتماما للمبدع إال بقدر ما خيدم القارئ. مبعنى أن الناقد مل يتوقف عند عنصر مهم يف عناصر العملية التواصلية واليت تتم مبشاركة املبدع والقارئ)املتلقي(معا.